عبّر الميثاق الوطني الفلسطيني عن هذا النهج المقاوم ووضّح الرؤيا لدى قادة المقاومة، حيث أكد ان السبيل الى تحرير فلسطين هو الحرب الشعبية طويلة الامد، وان العمق العربي يشكّل البعد الاستراتيجي الداعم لهذا السبيل الوطني، من أجل تحرير فلسطين.

نلحظ، اذاً، ممّا تقدّم، ان البعد العربي المقاوم للاحتلال الصهيوني احتل الدرجة الثانية، تكتيكياً واستراتيجياً، في النضال من اجل تحرير فلسطين. وقد تحقّق للحركة الوطنية الفلسطينية، رسمياً، هذا التوجّه على المستوى العربي وأقرّ في العام ١٩٧٤، في مؤتمر قمّة زعماء الدول العربية(١٤).

لم تنجز الحركة الوطنية الفلسطينية، خلال هذه المرحلة التي نتكلم عنها، ما انجزته بسهولة ويسر، بل دفعت ثمناً باهظاً جداً من دماء مقاتلي أبناء شعبها. فقد واجهت، عسكرياً، مؤامرات مختلفة تمثّلت في مجمل الغارات العسكرية الاسرائيلية، الجوية والبرية (نذكر، مثلاً، معركة الكرامة في ٢١ آذار ـ مارس ١٩٦٨). وواجهت الصعوبات المختلفة على الساحات العربية ايضاً (الخروج من الاردن في العام ١٩٧٠، ومن لبنان في العام ١٩٨٢)؛ كما واجهت مؤامرات سياسية متنوّعة استهدفتها، ولكنها استطاعت ان تجتازها وتبقي على ذاتها.

أدركت حركة المقاومة الفلسطينية ان فاعلية نضالها من خارج حدود فلسطين محدودة، وان الكفاح المسلّح من خارج حدود فلسطين يجب ان لا يشكّل أولويتها النضالية، لأنه يعرّض الثورة لكثير من الازمات والصراعات الحادّة، والمتنوّعة، التي تذهب بجهد غير يسير من نضالها للابقاء على ذاتها.

لقد بدا وكأن حركة الشعب العربي الفلسطيني الوطنية، وقيادتها التاريخية، قد تضرّرت بين العامين ١٩٨٢ و١٩٨٧ الى ان اندلعت انتفاضة الشعب العربي الفلسطيني في التاسع من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧، ليعبر النضال الفلسطيني مرحلة تحريرية جديدة.

المرحلة الراهنة ـ الانتفاضة

يستطيع المتتبع لمسيرة الانتفاضة ان يحصر حركتها النضالية، حتى الآن، بثلاث مراحل رئيسة، هي:

١ ـ المرحلة التمهيدية الاولى، والتي تمتد منذ خروج المقاومة الفلسطينية من بيروت في العام ١٩٨٢، وحتى اندلاع الانتفاضة في مطلع كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧. لقد استطاعت قيادة الشعب الفلسطيني التاريخية (منظمة التحرير الفلسطينية) ضبط الداخل الفلسطيني، بوجه عام، حيث نشطت قيادة الداخل والخارج في تعبئة الجماهير الوطنية الفلسطينية لانضاج نقطة الانطلاق، مستفيدة من مجمل التراكمات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، على الصعد كافة، المحلية والعربية والدولية، والتي يعتبرها الباحثون الذين تناولوا الانتفاضة بالبحث والتحليل، أسباب قيامها.

٢ ـ المرحلة الثانية، وتبدأ من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٨٧ حتى آذار (مارس) ١٩٨٨، حيث تمّ تحديد نقطة الصفر لاندلاعها في التاسع من كانون الاول (ديسمبر)؛ كما وتمّ تأطير الهبّة الجماهيرية، وتنظيم فاعليتها، كمّاً ونوعاً، لاحداث التغيير المطلوب من خلال:

(أ) تجنيد جماهير الشعب كافة لخوض مقاومة مدنية بأقصى قدر من الكثافة والثقل، وفرض قضية انهاء الاحتلال على أولويات الاهتمامات العالمية، شعبياً ورسمياً واعلامياً.

(ب) بناء الحد الادنى من مؤسسات السلطة الوطنية لتزاحم مؤسسات سلطات الاحتلال.